**هل اقتصرت الحروب الصليبية على فلسطين، أم كان لأرض روس نصيبًا منها؟**

د. زياد منصور

باحث في التاريخ الروسي

 بدءًا من القرن السابع وإثر الخسارة التدريجية، وفقدان حكام الدول الأوروبية المسيحية السيطرة على الأراضي المقدسة، أي تلك الأراضي المرتبطة بدعوة يسوع المسيح والرسل في كلٍّ من سوريا وفلسطين وأفريقيا. تفعلَّت غارات الأتراك السلاجقة، الذين ألحقوا في النصف الثاني من القرن الحادي عشر هزيمة ساحقة بالإمبراطور الروماني الرابع ديوجين (1067-1071) في معركة ملاذ كرد عام 1071، ،مما وضع حدًا لنوايا وطموحات الرومان في استعادة الأراضي الاستراتيجية التي استولى عليها أعداؤهم.

على هذا أضطر هؤلاء في القسطنطينية، منذ هذه اللحظة الأولى للهزيمة طلب المساعدة في الغرب، ومن البابوية التي استحوذت على سلطة استثنائية خلال فترة بابوية غريغوريوس السابع (1073-1085)، بل مكانة خاصة لدى الحكام العلمانيين في المجتمع الإقطاعي هناك. على هذا الساس بدأ عصر الحملات العسكرية ورحلات الحج واسعة النطاق في عام 1095 ، المعروفة في التاريخ بالحروب الصليبية، التي تم إعدادها والتحضير لها ماليًا وأيديولوجيًا من قبل الباباوات، بمشاركة غالبية الدول الكاثوليكية في القارة، بحيث انطلقت مثل هذه الحملات خلال القرنين الحادي عشر والثالث عشر. بلغ عدد هذه الحملات على بلاد الشام وشمال أفريقيا وحدها ثماني حملات. يذكر أن ممثلي سلالة روريك التي حكمت روسيا آنذاك لم تكن بمعزل عن هذه الأحداث الكبرى، بشكل مباشر أو غير مباشر.

لقد ظهرت في المدونات التاريخية الرسمية في روس، وخصوصًا في القرن الثاني عشر، مجموعة من القصص والروايات التي تناولت الحروب الصليبية والأحداث الجارية في بلاد الشام، وتوقفت عند كل ما يجري في مدن القدس، وعسقلان، وما إلى ذلك، نحن نتحدث بالدرجة الأولى عن المصدر التاريخي الأول في روس وهو حكاية السنوات الماضية، وكذلك كييف كرونيكل (حوليات كييف) في القرن الثاني عشر، إضافة إلى حكايا وردت في سجلات ذات أصل غاليسي أو غاليكي، حيث تم توثيق أحداث سقوط القدس في 2 تشرين الأول 1187 تحت هجمات قوات سلطان مصر والشام صلاح الدين (1138-1193). نتيجة لهذا السقوط بدء تنظيم الإمبراطور الألماني فريدريك الأول بربروسا (1122-1190) للحملة الصليبية الثالثة.

ولا ريب في أن حكاية الاستيلاء على القسطنطينية من قبل الفرانكيين fryag والفرنجة (المقصود هنا ما شهده القرن الثالث عشر والحملة الصليبية الرابعة، بهدف انتزاع القدس من أيدي المسلمين في زمن الحروب الصليبية)، لكن وجهة المحاربين الصليبيين تحولت نحو العاصمة البيزنطية "القسطنطينية"، حيث قام الصليبيون بنهب المدينة، وقتل العديد من سكانها، مما فاقم "الانشقاق الكبير" بين الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية وعاصمتها القسطنطينية، والكنيسة الكاثوليكية الرومانية ومقرها "الفاتيكان"، التي تم ادراجها في سجلات نوفغورود في الإصدارات القديمة والأحدث منها، بحيث تم توثيق تفاصيل "الحملة الصليبية الرابعة" على القسطنطينية (الأرثوذكسية آنذاك) ودور هذه الحملة في إضعاف العاصمة البيزنطية المزدهرة، ذلك أنها عانت لاحقا من عزلة شديدة، وإفلاس اقتصادي، وانخفض عدد سكانها ليصل إلى أقل من 40 ألف نسمة فقط، وأصبحت أجزاء من المدينة العريقة خاوية على عروشها، مما سهل فتحها على أيدي العثمانيين في نهاية المطاف..

في تلك الفترة كان يُنظر إلى الفرسان الألمان على أنهم شهداء - «الألمان مثل الشهداء القديسين- سفكوا دمهم من أجل المسيح». ولكن سقوط القسطنطينية في 12 نيسان 1204 تحت ضربات قوات الحملة الصليبية الرابعة أثار في روسيا رد فعل سلبي إلى حد كبير، حيث ورد في السجل الغاليكي-الفوليني للقرن الثالث عشر (وقائع رومانويتش) كلام عن وجود نظام فرسان الهيكل.

فقد ترك بعض الحجاج، مثل رئيس دير تشيرنيغوف دانيال، وهو أسقف بيرم لاحقًا، ورئيس أساقفة نوفغورود أنطون (قبل سيامته - دوبريينا يادريكوفيتش، رحلة الحج حوالي 1200 و1208/09)، مذكراتهم التي تحتوي على شهادات فريدة. على سبيل المثال، في كتابه "المسير" الذي كتبه تحت تأثير انطباعاته عن رحلته للحج بين العامين 1104-1106، يورد القمص دانيال عن تعرفه بأول ملك للقدس بلدوين الأول (1100-1118)، وزيارته للأماكن المقدسة المرتبطة بحياة وعمل يسوع المسيح، وحالة تحصينات القدس.

**الحملات الصليبية على خلفية العلاقات بين السلالات والسياسة الخارجية لأسرة روريك**

سمحت سياسة الزواج لأمراء روسيا، وخاصة نحو الغرب، بأن يكون هؤلاء على دراية بالحملات الصليبية حتى لو لم يشاركوا مباشرة في أي منها. كان العديد من نساء أسرة روريك زوجات لبعض القادة الصليبيين، وشارك أبناؤهم في رحلات الحج، فيما شارك لآخرون بشكل مباشر أو غير مباشر في دعم الحركة الصليبية. على سبيل المثال، شارك بن آنا ياروسلافنا (توفيت 1075/1089) وملك فرنسا هنري الأول (1031-1060) هيو (1057-1102) بشكل مباشر في الحملة الصليبية الأولى (1096-1099)، حيث أوردت وثائق تمتعه بشجاعة غير مسبوقة في معركة دوريلايوم في 1 تموز 1097 وفي حصار أنطاكية في 1098. ويُعتقد إن زوجة أمير بيرياسلافل فلاديمير فسيفولودوفيتش مونوماخ-غيتا (1053-1125)، (توفيت بعد 1099)، شاركت في هذه الحملة مع أقاربها الفلمنكيين، وهو ما تم تداوله في بلاط زوجها.

في عام 1142، تزوج حليف فريدريك الأول بربروسا- الصليبي والدوق السيليزي من أسرة بيازتس بوليسلاف الأوَّل الشجاع (توفي 1201)، من ابنة أمير كييف فسيفولود أوليغوفيتش (توفي 1146) زفانيسلافا (توفيت بين 1155-1160). كما وتزوجت ماريا، أغافيا (توفيت بعد 1180) ابنة النبيل السيليزي بيوتر فلوستوفيتش (توفي 1153) وابنة أمير تشيرنيغوف وتومتاركان أوليغ سفياستلافوفيتش (توفي 1115)، تزوجت في عام 1145 من الصليبي ياكسا (توفي 1176)، الذي شارك في الحملة الصليبية الثانية (1147-1149).

أما الابن غير الشرعي لابنة أمير بيرياسلافل ومن ثم أمير كييف منذ سنة 1113، فلاديمير مونوماخ، أوفيميا (توفيت 1139) والدوق المجري ألموش (توفي 1127) وهو الأخ الشقيق لزوجها الشرعي الملك كولومان والملقب بالكاهن (1095-1116)، بوريس (توفي 1153/54) سعى خلال الحملة الصليبية الثانية الحصول على دعم أحد قادتها-أي ملك فرنسا لويس السابع (1120-1180) في جهده للجلوس على العرش المجري، ضد ابن أخيه المفترض غيزا الثاني (1141-1162) - الذي تزوج في عام 1146 من ابنة أمير كييف مستيسلاف فلاديميروفيتش (1125-1132) يوفروسينيا (توفيت 1193، ربما في دير القديس سابا في القدس!) والتي منحت بعض الأراضي في المجر لصالح فرسان يوحنا، وهي أم الملكين ستيفن الثالث (1147-1172) وبيلا الثالث (1172-1196).

دفع استيلاء بيلا الثالث على غاليتش في عام 1188 بالأمير المحلي الهارب فلاديمير ياروسلافوفيتش (1189-1198/99) على التماس المساعدة من الإمبراطور الألماني فريدريش الأول بربروسا خلال استعداداته للحملة الصليبية الثالثة. على صعيد آخر كانت الأميرة غريمسلافا (توفيت 1258 زوجة الأمير البولندي ليشيك الأبيض (1184/1185-1227)، الذي شجع البابا إنوسنت الثالث (1198-1216) بنشاط على المشاركة في الحملة الصليبية الخامسة، وهي كانت ابنة الأمير السابق لنوفغورود ياروسلاف فلاديميروفيتش (حوالي 1155-1165 - نهاية 1205-1209) ساهمت مع زوجها في الترويج للحملة، لكن الحاكم البولندي لم يذهب في الحملة بحجة أن الأرض المقدسة تفتقر إلى البيرة.

أما زوجة الأمير المازوفي كونراد (1187-1247) أغافيا سفياستلافنا (توفيت بعد 1248) كانت في ثلاثينيات القرن الثالث عشر واحدة من المبادرين بمنح أراضي إلى نظام الفرسان التوتونيين على الحدود مع بروسيا. في سن الثامنة، تم إرسال الابن غير الشرعي لملكة بوهيميا كونيغوندا روستيسلافنا (توفيت 1285) وزافيشا من فالكنشتاين (حوالي 1250-1290)، إشكا (يان) (حوالي 1282 - بعد 1337)، النظام الروحي العسكري التيتوني باعتباره يتيمًا.

من المرجح بشكل كبير أن أقارب المشاركين في الحملات الصليبية، الذين كانت رحلتهم إلى الأرض المقدسة والعودة منها تمر عبر أراضي روريك، عاشوا لفترة من الزمن في كييف. نتحدث هنا، على سبيل المثال، عن الملك الدنماركي إريك الطيب (حوالي 1070-1103)، أو المشارك في الحملة الصليبية الثانية، الأمير التشيكي فلاديسلاف الثاني (1110-1174). كانت اتصالات روريك مع الأباطرة البيزنطيين متعددة الأوجه ومتينة على خلفية الحملات الصليبية.

حوالي عام 1161، حصل أحد الإخوة الأصغر الذين طُردوا من أراضيهم من قبل الأمير فلاديمير أندريه يوريفيتش، الملقب ببوجولوبسكي (حوالي 1111-1174)، واسمه مستيسلاف (توفي 1162)، لاحقًا على منطقة عسقلان من الإمبراطور مانويل كومنينوس (1118-1180). من المحتمل أن جزءًا من النخبة الغاليكية الموالية للملك المجري أندراش الثاني (1205-1235) كان من المقرر أن ينضم إلى الحملة الصليبية الخامسة (1217-1221)، لا سيما وأن الأراضي المجاورة لأراضي غاليتش، منطقة سبيش المجرية، كانت منذ نهاية القرن الثاني عشر مأهولة بنشاط بالفرسان من ساكسونيا وفلاندرز الذين شاركوا في الحملات الصليبية.

بهذا نجد أن الروس في بعض مقاطعاتهم وبسبب صلات القربى كانوا على اطلاع على الحملات الصليبية، وإن لم ينخرطوا فيها بشكل مباشر

**الحملات الصليبية على بلاد الروس، هل هي صليبية فعلاً؟**

منذ منتصف القرن الثاني عشر، وبشكل خاص بعد سقوط القسطنطينية في نيسان 1204 تحت ضربات المشاركين في الحملة الصليبية الرابعة، أصبحت فكرة تنظيم "حرب مقدسة" ضد الدول غير الكاثوليكية (بما في ذلك الوثنيين والزنادقة) ذات أهمية كبيرة بالنسبة للأوروبيين. ومع ذلك، لوحظت مثل هذه النغمات في السياسة الخارجية للسلالات المجاورة لروريك منذ نهاية القرن الحادي عشر.

على سبيل المثال، بالتزامن تقريبًا مع استيلاء المشاركين في الحملة الصليبية الأولى على مدينة القدس في 15 تموز 1099، تحرك جيش مجري كبير بقيادة الملك كولومان، الملقب بالكاهن، وكانفي عداده عدد من الأساقفة ، تحرك هؤلاء باتجاه بيريميشل بهدف احتلال أراضي أمراء روستيسلافوفيتش. ومع ذلك، في معركة نهر فياغر تم سحقهم تمامًا بواسطة قوات روسية-كومانية مشتركة.

من الواضح أنه على خلفية أحداث مشابهة، في فترة ما بين الأعوام 1143-1153، شجع برنارد من كليرفو (1090-1153)، أحد الملهمين الأيديولوجيين للحملة الصليبية الثانية، الذي قدّسه البابا ألكسندر الثالث (1159-1181) في عام 1174، في إحدى رسائله إلى أسقف كراكوف ماتفيي (متى) (1143-1166) والنبلاء السيليزيين بيوتر فلوستوفيتش على تنظيم حملة صليبية ضد روسيا.

في النهاية، غالبًا (ولكن ليس دائمًا) وتحت راية أفكار الحملات الصليبية ضد غير الكاثوليك، والتي جرت في نهاية القرن الثاني عشر والنصف الأول من القرن الثالث عشر، توسعت التأثيرات الديناميكية والسياسية الهنغارية والبولندية في أراضي غاليسيا وفولينيا، وكذلك الألمانية نحو المناطق الشمالية لأراضي روريك (نوفغورود، بسكوف، إلخ).

لا يمكن في هذا السياق عدم ذكر ما يسمى "حادثة دوروهيتشين" (بين 1238-1247) التي تناولها المؤرخون بشكل واسع - وهي استيلاء دانييل رومانوف على مدينة دوبجينسك من قبل مجموعة صغيرة من فرسان دروهيتشين .

ومع ذلك، ومع تتويج الابن الأكبر لرومانوف في نهاية عام 1253 دانيال رومانوفيتش غاليتسكي ، ودخول أراضيه ضمن الأراضي الواقعة تحت تأثير البابا الروماني إنوسنت الرابع (1243-1254)، إذ وفي محاولته لمواجهة المغول عمل على ترسيخ سياسة خارجية تقوم على معارضته للقبيلة الذهبية. وأسس علاقات وطيدة مع حكام مملكة بولندا ومملكة المجر، وطلب المعونة من البابا إنوسنت الرابع في شكل حملة صليبية. وعرض دانيال، في مقابل المساعدة البابوية، أن يضع أرضه تحت السلطة الكنسية لـ روما، وهو العهد الذي لم يتحقق مطلقًا. وما كان من نتائج تودده للبابا لتوسيع سلطته إلا أن شجع البابا مقاومة دانيال للمغول وتوجهه نحو الغرب، وفي عام 1253، تُوج دانيال على عرش دوروهوكين في نهر بوغ كممثل بابوي. ورغم أن دانيلو أراد شيئًا أكثر من التقدير وعلق بمرارة على توقعه تزويده بجيش عندما تولى العرش. وفي العام التالي، تصدى دانيال لهجمات المغول بقيادة ابن أوردا (Orda)، وهو كوريمسا (Kuremsa)، في بونيزيا وفولينيا وأرسل حملة استطلاعية بهدف الاستيلاء على كييف. وعلى الرغم من النجاحات الأولية التي حققها دانيال في عام 1259, تمكنت قوات المغول من دخول غاليسيا وفولينيا بقيادة بورونداي (Burundai) ونوجاى خان (Nogai Khan) وأعطوه آخر إنذار: إما أن يحطم دانيال جميع تحصيناته أو أن يهاجم بورونداي البلاد. فامتثل دانيال للأمر وحطم جدران المدينة.

يجب أن تُفسر على هذا النحو الحملات المشتركة للملك دانييل مع الأمراء البولنديين والروس ضد اليادفين خلال شتاء 1254-1255، والحملة على مدن بولوخوف في بداية عام 1255. ورغم نجاحات جيوش دانييل في مواجهة القائد التتاري كورمسا في 1256، لم يسفر ذلك عن تنظيم حملة صليبية كاملة في دول ما يُسمى "أوروبا الصغرى"، والتي كان البابا إنوسنت الرابع يدعو إليها بنشاط.

ورغم ذلك، منذ عام 1254، أصبح حكام مملكة روسيا حلفاء دائمين لنظام الفرسان التوتوني في بروسيا. بشكل عام، انتشرت أفكار الحملات الصليبية إلى الشرق الأوسط بسهولة بين السكان المعمدين بالطريقة الشرقية في أراضي روريك، حيث كان جزء منهم، على ما يبدو، على دراية جيدة بهذه الأفكار، وشاركوا فيها بشكل مباشر أو غير مباشر.

 ومع ذلك، لم نجد بين هؤلاء ممثلين عن الطبقة الأرستقراطية الأميرية التي نشأت في بيئة فكرية مختلفة، ومائلة نحو التقاليد المسيحية الشرقية، والتي كان من الصعب عليها أن تجمع بين العوامل الثلاثة الرئيسية للحركة الصليبية الغربية الأوروبية - تحرير قبر المسيح من "الكفار"، والحج المسيحي إلى المقدسات في فلسطين وسوريا، وأيضًا، "الحرب المقدسة"، التي تجمعت فيها الدوافع الروحية والفكرية العميقة للاتينيين جنبًا إلى جنب مع طموحاتهم العسكرية والسياسية.

خلال الحملة العسكرية بين عامي 1240 و1242، سعى الصليبيون لاحتلال أراضي نوفغورود وبسكوف وإخضاعها للكنيسة الكاثوليكية الرومانية. في مواجهتهم، تألق الأمير ألكسندر نيفسكي الذي تمكن من هزيمة الصليبيين، وبعد ذلك استند في سياسته إلى التعاون مع المغول الذين فرضوا سيادتهم على روسيا، لتأمين خطوط الإمداد له في مواجهته لفرسان ألمانيا.

ولكن ما كنت حجج الأطراف المنخرطة في الثراع؟

بالنسبة للإمبراطورية الرومانية المقدسة، نجد أنه أثناء الحملة الصليبية الثالثة (القرن الثاني عشر)، تعرضت القوات الألمانية لخسائر كبيرة، ولقي الإمبراطور نفسه، فريدريك الأول برباروسا، حتفه. وأدت وفاته إلى مرحلة جديدة من الصراع على عرش الإمبراطورية الرومانية المقدسة ، وساهمت الحروب الأهلية في اضعاف السلطة المركزية في الإمبراطورية.

**بالنسبة لروسيا فإنه**  خلال الحملة العسكرية بين عامي 1240 و1242، والضغط الصليبي على أراضي بسكوف ونوفغورود، برز ارتفاع في نفوذ الأمير ألكساندر ياروسلافيتش (نيفسكي). فالانتصار على جيش الصليبيين، خاصة في معركة بحيرة بيبسي (تشاديسكو)، أصبحت واحدة من الأسباب الرئيسية لصعود سلطة ألكساندر نيفسكي في شمال شرق روسيا. كدليل على زيادة نفوذ ألكساندر نيفسكي بسبب انتصاراته، يمكن أن يُذكر أولاً أن رسائل البابا الروماني وجهت إليه مباشرة، حيث كان يسعى للتحالف مع الأراضي الروسية ضد المغول، وثانياً، أن ألكساندر نيفسكي نجح في الحصول على يرليك (إذن بالحكم) وحصوله على لقب حكم الإمارة الكبرى، أولاً في كييف، ثم في فلاديمير في عام 1252.

أثرت الحملات الصليبية بشكل كبير على تطور روس-نوفغورود، فبعد أن احتل الصليبيون دول البلطيق، بدأوا يشكلون تهديدًا خطيرًا لأراضي بسكوف ونوفغورود، مما ساهم في بعض التغييرات في سياسة نوفغورود. على وجه الخصوص، بدأت نوفغورود في ثلاثينيات القرن العشرين في تطوير التقارب مع ياروسلاف فسيفولودوفيتش وأبنائه، ولا سيما ألكسندر نيفسكي. نظرًا لأن الدفاع الفعال عن نوفغورود لم يكن ممكنًا إلا في ظل ظروف اتحاد نوفغورود مع الإمارات المجاورة والمشاركة الشخصية للأمراء في الدفاع عن حدود نوفغورود. وهكذا، أثر تهديد الصليبيين على إبرام علاقات وثيقة بين جمهورية نوفغورود وياروسلافيتش، مما ساهم في تعزيز نفوذ الأمير في نوفغورود في ثلاثينيات وأربعينيات القرن الثاني عشر.

وفي الإمبراطورية الرومانية المقدسة في نهاية القرن الثاني عشر، شارك الإمبراطور فريدريك الأول بربروسا في الحملة الصليبية الثالثة، التي توفي فيها في النهاية، تاركًا هنري السادس وصيًا على الإمبراطورية الرومانية المقدسة، فبعد فترة وجيزة من مغادرة فريدريك الأول للمشاركة في الحملة الصليبية، اندلعت حرب أهلية في الإمبراطورية الرومانية المقدسة ضد دوق ساكسونيا هنري الأسد. سوف تتكشف هذه الصراعات أكثر بشكل خاص بعد وفاة فريدريك الأول في 1192-1194. ومع عودة هنري الأسد، المنفي في عهد فريدريك الأول، مجدداً تعود الحرب الإقطاعية في الإمبراطورية الرومانية المقدسة بعد مغادرة فريدريك الأول للمشاركة في الحملة الصليبية، هذه المسألة تشير إلى أن الحروب الصليبية كان لها تأثير كبير على التطور السياسي للإمبراطورية الرومانية المقدسة، مما

 بحلول منتصف القرن الثاني عشر، بدأ الضغط الشديد على قوات الصليبيين في آسيا الصغرى، وسقطت إمارة الرها، عاصمة الدولة الصليبية الأولى. في مثل هذه الأوضاع، لجأ البابا إلى الملوك الأوروبيين داعيًا إياهم لتنظيم حملة صليبية جديدة واسعة النطاق، والتي انضم إليها أيضًا حاكم الإمبراطورية الرومانية المقدسة كونراد الثالث. كان لهذه الحملة الصليبية وقرار كونراد الثالث بالانضمام إليها تأثير كبير على التطور السياسي للإمبراطورية الرومانية المقدسة في القرن الثاني عشر. وهكذا، بدأ أحد الأمراء الألمان فولف الرابع الحرب ضد ستاوفين (سلالة كونراد الثالث). عند عودة كونراد الثالث من الحملة الصليبية الفاشلة، استمرت الحرب. لم يتمكن كونراد الثالث أبدًا من استعادة مكانة السلطة الملكية الألمانية في البلاد. بالتالي، غياب كونراد الثالث وفشل الحملة الصليبية ساهما في ضعف السلطة المركزية في الإمبراطورية. فقط خليفة كونراد الثالث، فريدريك الأول بارباروسا، سيكون قادرًا على تحقيق السلام داخل الإمبراطورية الرومانية المقدسة.

 بحسب عدد من العلماء، فإن الأعمال العسكرية التي قام بها النظام الليفوني ضد الأراضي الروسية في القرن الثالث عشر. ينبغي اعتبارها حروبًا صليبية تهدف إلى نشر الكاثوليكية في أراضي "الهراطقة والزنادقة الأرثوذكس". هزم أمير نوفغورود ألكسندر نيفسكي الصليبيين خلال معركة الجليد، مما عزز سلطته الأميرية. وأدى ذلك إلى تعزيز سلطته في نوفغورود، ومن ثم ساهم في حصوله على حكم فلاديمير العظيم.

أدى نجاح الحملة الصليبية الأولى إلى إنشاء طرق تجارية تربط أوروبا وآسيا عبر دول الصليبيين في الشرق الأوسط. وفقًا لآراء العديد من المؤرخين، ساهم هذا الأمر في تراجع الطريق التجاري "من الفايكنغ إلى اليونانيين"، وبالتالي إلى تراجع الدور الاقتصادي لكييف كنقطة مهمة على هذا الطريق التجاري. وفي نتيجة لذلك، أدى هذا التراجع إلى ضعف الدور السياسي لإمارة كييف، التي بدأت تنظر إليها الأمراء الروس بشكل أقل كمركز للأراضي الروسية. على سبيل المثال، بعد أن احتل أندريه بوغوليوبسكي كييف، نهب المدينة دون أن يتولى حكمها.

أدت الحملات الصليبية في البلطيق ضد القبائل الوثنية المحلية إلى توحيد بعض هذه القبائل حول إمارة ليتوانيا. على خلفية مكافحتها للصليبيين، بدأت ليتوانيا تكتسب تدريجيًا القوة والسلطة الدولية، مما سمح لها في القرن الرابع عشر بضم العديد من الإمارات الروسية الغربية والجنوبية مثل بولوتسك وكييف وغيرها.

لقد أدت الحروب الصليبية في دول البلطيق وتشكيل النظام التوتوني إلى تنظيم مقاومة لهذه الدولة من بولندا وليتوانيا وجزء من الأراضي الروسية. وبعد مدة من الزمن وفي معركة جرونوالد عام 1410، مني الجرمان بهزيمة ساحقة على يد الجيش البولندي الليتواني الروسي، الأمر الذي حدد مسبقًا تعزيز نفوذ ليتوانيا على الأراضي الروسية الغربية كإحدى الدول الإقليمية التي تصدرت المشهد .

بعد أن تمت الدعوة إلى حملة صليبية، تطوع العديد من الألمان الجنوبيين بالانضمام إلى الحملة المتجهة إلى الشرق. في حين تردد الألمان الشماليون من الساكسون. وأخبروا برنارد بأنهم يرغبون في شن حملة ضد السلاف. وأصدر البابا إيجين الثالث مرسوماً بابوياً بالموافقة على طلب الساكسون، وعرف هذا المرسوم باسم التوزيع الإلهي. وقد أوضح ضمن هذا المرسوم أنه لا فرق في المكافآت الروحية بين الحروب الصليبية. وتطوع بشكل أساسي في الحروب ضد السلاف كل من الساكسون والدنماركيون والبولنديون مع وجود بعض البوهيميين. وقد تمت قيادة الحملة من قبل العائلات الساكسونية.

قام اتحاد القبائل السلافية بحرب استباقية فقاموا بغزو فغاريا في يونيو 1147،مما أدى إلى تأخر الحملة الصليبية ضد السلاف إلى آواخر الصيف، حتى تم طرد السلاف من الأراضي الألمانية. وبدأت الحملة الصليبية باستهداف دوبين وودمين. توجه الدنماركيون والساكسون بقيادة هاينريش الأسد لمحاصرة دوبين، لينسحب هاينريش بعد موافقة قادة المدينة على الخضوع لحكمه. في حين أن حصار دمين فشل، تحولت الحملة باتجاه بومرانيا. وبعد أن وصلوا إلى هناك تفرقت الحملة بعد اجتماعها مع أسقف بومرانيا. ومع هذا لم تحقق الحملة الأهداف المنشودة منها، فبعد أن نجح الساكسون في تحويل قسم كبير من سكان دوبين إلى المسيحية إلا أنه بعد أن تفرقت الجيوش الصليبية عادوا من جديد إلى الوثنية. كان لهذه الحملة أثر كبير على مستقبل القبائل السلافية حيث خسروا قدرة مقاومتهم مستقبلاً.

أدت الحروب الصليبية في دول البلطيق، وتشكيل النظام التوتوني هناك بشكل رئيسي من قبل المهاجرين من ألمانيا، إلى زيادة التناقضات بين النظام وبولندا، والتي تجلت في عدة حروب بمشاركة هذه البلدان. وكانت هذه الحروب لصالح الإمبراطورية الرومانية المقدسة، لأنها ساهمت في إضعاف أو على الأقل تشتيت انتباه العدو التقليدي للأباطرة – أي ملك بولندا.

**ما هو الغرض من الحروب الصليبية ضد السلاف والروس؟**

منذ السنوات التسعمائة بعد ميلاد يسوع، تعرضت الديانة المسيحية لتغييرات كبيرة وتباينات عن مبادئ الابن الإله التي بشر بها. وقد ظهر هذا واضحا بشكل خاص في الكنيسة الكاثوليكية، حيث أصبحت هياكلها الهرمية تحل محل السلطة العلمانية، وتشكل السياسة العالمية وتجميع ومراكمة الثروات المادية.

تعززت الكنيسة الرومانية بعد قرون من الركود، وسعت إلى اخضاع كل شيء والجميع لتأثيرها، بما في ذلك الأبرشيات التابعة للكنيسة القسطنطينية. ولهذا السبب، حدث الانشقاق في القرن التاسع والتقسيم النهائي إلى كنيستين غربية وشرقية، على الرغم من أن ذلك تم رسمياً في سنة 1054، عبر تبادل اللعنات والقاء الحرم بين بطاركتي الكنيستين.

كان العدوان من الكنيسة الرومانية موجهاً ليس فقط ضد المسلمين ولم يقتصر على القدس. ونتيجة للصراع المستمر، بحلول عام 1439تم وضع الكنيسة الشرقية في وضعية التابعة لروما. وقد دمرت معظم جماعات السلاف في وسط وشرق أوروبا أو جرى اجبارها على اعتناق الكاثوليكية.

آخر دعوة للمسيحيين في جميع أنحاء أوروبا لشن حملة صليبية ضد الروس جاءت من البابا بيوس الحادي عشر في شباط 1930. وتم تنفيذها عام 1941 بقيادة هتلر الذي وقَّع معه البابا اتفاقا حول مبادئ التعاون عام 1933. وقد سُجل هذا البطريرك في التاريخ باسم "بابا هتلر".

البابا قادر على كل شيء ويستطيع...

لكي نوضح تطلعات ونوايا آباء الكنيسة الكاثوليكية القديسين، لا بد من ايراد مقتطفات من عقيدة الكنيسة الحالية حول العصمة البابوية التي هي عقيدة كاثوليكية تم إقرارها في المجمع الفاتيكاني الأول عام 1870 في زمن حبرية البابا بيوس التاسع. تقر هذه العقيدة بأن البابا له سلطة شرعية على الكنيسة الكاثوليكية كلها، لذلك وتحت شروط محددة فهو منزه عن الخطأ من قبل الله في ما يخص قضايا تعليم الإيمان والأخلاقيات التي أرادها الله للكنيسة.

وتقول العصمة "إن أسقف روما عندما يتكلم {من على السدَّة} أي بصفته راعيًا ومعلمًا لجميع المؤمنين المسيحيّين فيحدّد بقوة سلطته الرسولية العليا أن تعليمًا في موضوع الإيمان والآداب يجب أن تعتنقه الكنيسة كلها... تلك العصمة التي شاء الفادي الإلهي أن يمد بها كنيسته عندما تُحدّد عقيدة في موضوع الإيمان والآداب. لذلك فإن تحديدات الحبر الروماني غير قابلة للتعديل، وذلك بقوتها الذاتية لا بقوة إجماع الكنيسة عليها " .

هذه مجرد مقتطفات قليلة متواضعة من وثيقة مثيرة للاهتمام ومفيدة للغاية، والتي تتيح لنا أن نرى بطريقة جديدة قوة ومهام الكنيسة الكاثوليكية. مرة أخرى، نلفت انتباه القارئ إلى حقيقة أن أمامنا نسخة مخففة ومختصرة من العقيدة الأصلية، والتي أعطت بعد ذلك للباباوات الحق في توجيه السلالات الحاكمة وفعل كل شيء حتى لو كلان الأسوأ .

وفي مجمع كليرمونت عام 1095، خاطب البابا أوربان الثاني رؤساء الكنيسة والنخبة العلمانية بدعوة لمعاقبة الوثنيين الكفار والزنادقة، الذين رأى بينهم السلاف. ودون تردد ولمدة دقيقة، قام العديد من الناس بنقش علامة الصليب على صدورهم. (ومن هنا جاء اسم "الصليبيين") وانطلقوا في الطريق.

ألهمت الحملة الصليبية الأولى عام 1096 الكثيرين. وطالب النبلاء العلمانيون والكنسيون باستمرار عمليات السطو والعنف دون عقاب. إذ برأ البابا، بمرسوم خاص، جميع المشاركين من أي خطايا وذنوب ارتكبت خلال الحملة. وبذا لم يضبط أحد نفسه..

يتم التعبير بشكل أفضل عن أيديولوجية الحروب الصليبية من قبل المندوب البابوي (الممثل الرسمي) أرنولد أمالريك خلال الحملة الصليبية الألبيجينية ، فعندما سأل أحد القادة العسكريين كيف يمكنه التمييز بين الكاثوليك الصالحين والهراطقة، أجاب المندوب بصدق: "اقتلوا الجميع، سيتعرف الرب على خاصته!"

وحملة كاثار الصليبية (1209-1229) حملة عسكرية دامت 20 عاماً أطلقها البابا إينوسنت الثالث للقضاء على ما عدته بدعة الكَثار في إقليم لونغدوك، كانت حركة الكاثار الدينية التي ازدهرت خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر أسوأ أنواع الهرطقة، فخلال تلك الفترة أقدم الكاثار على اعتماد طقوس دينية، وعادات غريبة عن بقية العالم المسيحي، حيث آمنت هذه الطائفة بوجود قوتين إلهيتين متصارعتين تجسدت الأولى في إله الشرّ، واعتبرت العالم المادّي من خلق الشيطان، أما الثانية فقد قدست الروح واعتبرتها من خلق إله الخير، وأكدت أن الروح محتجزة في الجسد الذي خلقه الشيطان.

فيما شكك "الكاثار" بما جاء في العهد القديم، وأعادوا النظر بفحوى الكتاب المقدس. إضافة إلى كل هذا اعتمد الكاثار في حياتهم طقوسا غريبة عن المسيحية، حيث حرّموا على أنفسهم الزواج، وملكية العقارات والأراضي..

أولويات الفاتيكان

إن الفظائع التي ارتكبها الصليبيون تستحق وصفا منفصلا، ولكن بسبب الرقابة التي كانت تمارس، كان من المستحيل القيام بذلك بالكامل. كان هناك الكثير من العنف ضد النساء والرجال بغض النظر عن الدين والتعذيب وانتشرت السادية تجاه السجناء والأطفال. فالقسوة والهوس اللذان لا يمكن تفسيره أسبابهما، كان الرفيق الدائم لهذه الحملات .

لننسى هنا صورة الفارس النبيل ذا العيون المتلألئة التي ابتكرتها هوليود، لننساها نهائيًا! فالقتلة والساديون والمنحرفون، الذين انقضوا بجيوشهم المجهزة على بلاد الشام، لم يتورعوا عن فعل ذلك في أراضي السلاف. لكن لا يعرف عامة الناس، كيف هاج الصليبيون السلاف والروس في كثير من الأحيان وبجيوش أكبر بما لا يقاس مما فعلوه في الرها وبيت المقدس وغيرها.

في الواقع، هذا أمر مفهوم، لأن هدف الصليبيين لم يكن التنصير، بل تدمير الحضارات بما فيها السلاف والروس، ومحوهم من التاريخ ، والمبدأ هو الاستيلاء على أغنى الأراضي وأكثر الموارد، وملء هذه الأراضي بالمستعمرين، واحتواء الناجين وتحويلهم إلى عبيد.

، وبالفعل هذا ما خطط له أدولف هتلر بغباء فيما يتعلق بأراضي الاتحاد السوفييتي! وهذا هو بالضبط ما فعله الصليبيون الألمان والدنماركيون والسويديون في المناطق التي تم الاستيلاء عليها من السلاف؛ وهذا بالضبط ما سمح لهم البابا بفعله، علاوة على ذلك، أمرهم بالتصرف بهذه الطريقة. لذلك كان لدى هتلر شخص ما ليقلده ...

لكن لم يكن لدى السلاف فرص كثيرة: إما أن يتحدوا ويقاوموا التوسع، أو أن يموتوا كمجموعة عرقية. كيف حدث ذلك؟

في التأريخ الروسي، أصبح الرأي راسخًا أنه في أوائل الأربعينيات من القرن الثالث عشر. حدثت حملة صليبية ضد روس، أعلنتها ونظمتها الكوريا الرومانية (الجهاز الإداري والتنفيذي والاستشاري الذي يساعد البابا في الفاتيكان على إدارة مهامه المختلفة، ويعتبر البابا نفسه رئيسًا للكوريا، وهو من يعيّن أعضائها ويعفيهم حسب مصلحة الكنيسة)، وشاركت فيها جميع القوى الرئيسية لفرسان شمال أوروبا - السويد والنظام الألماني والدنمارك. وتم اختيار الوقت حين كانت روسيا تعاني لحظة من الضعف الشديد ، بعد أن عانت ما عانته لتوها من ويلات الغزو التتاري. وفي ظل هذه الظروف الصعبة، وجد الشعب الروسي، بقيادة ألكسندر نيفسكي، القوة لصد العدوان من الغرب وإلحاق هزيمة ساحقة بالغزاة على ضفاف نهر نيفا وفي واحدة من أكبر معارك العصور الوسطى - معركة بحيرة تشودسكي.

عرفت الفترة الواقعة بين القرن الحادي عشر إلى الثالث عشر في أوروبا بفترة الحملات الصليبية. فالألمان، الفرنسيون والإنجليز كانوا يتوجهون إلى فلسطين لغزو الأراضي العربية. ومع ذلك، كان الفرسان الألمان يتصادمون في كثير من الأحيان مع الفرنسيين. لهذا السبب، في منتصف القرن الثالث عشر، قرر الإمبراطور الألماني فريدريك الثاني تغيير اتجاه التوسع وأرسل فرسانه إلى دول البلطيق لمحاربة الوثنيين المحليين.

اتحد فرسان النظام التوتوني ووسام اخوة السيف -فرسان الهيكل لتشكيل النظام الليفوني. لقد أخضعوا دول البلطيق وأنشأوا مستعمرة هناك. كانوا يجبرون الوثنيين على اعتناق الكاثوليكية. في طريقهم إلى الشرق، كانت تتموضع الأراضي الروسية. في ذلك الوقت بالنسبة للكاثوليك ، كان يُنظر إلى الأرثوذكس على أنهم وثنيون أو خراف ضالة يجب أن يقبلوا الكاثوليكية. بفضل فتوحاتهم، أصبح النظام الليفوني قوياً بما يكفي، كما وجد الألمان بالسويديين حلفاء أقوياء .في منتصف القرن الثالث عشر، تم إعلان حملة صليبية على روسيا.

كان غزو الصليبيين لروس يحمل تهديدًا كبيرًا. عرض الألمان والسويديون في البداية على الروس المساعدة العسكرية للتخلص من نير المغول. صحيح أنه في هذه الحالة كان على سكان روس أن يتحولوا إلى الكاثوليكية. ظهر حزبان في إمارة نوفغورود: حزب موالي لألمانيا وحزب يدعو إلى محاربة الأجانب القادمين من الغرب. ربما أدرك الأخير أن الفرسان الليفونيين لم يتمكنوا من هزيمة المغول ودفعهم بعيدًا عن حدود روس. بالإضافة إلى ذلك، فهموا بوضوح أنه من غير المرجح أن يحاول الألمان محاربة البدو الشرقيين لصالح الأرثوذكس، عندها يكون من الأسهل عليهم إنشاء مستعمرة على أراضي روس والحصول على كميات كبيرة من الغنائم من أراضيها، وكذلك انتشار الكاثوليكية. لذلك، وبذا فإن الذي قد يقف حائلا دون تحقيق هذه الأغراض ليسوا الألمان ولا المغول، بل سكان روس.

فاز الحزب الذي أعلن للقتال ضد الصليبيين. دعا سكان نوفغوروديون أمير سوزدال الشاب ألكسندر ياروسلافوفيتش للدفاع عن أرضهم، وقد برر آمالهم بشجاعة، وهزم السويديين على نهر نيفا في عام 1240. ولهذا حصل على لقب "نيفسكي".

ومع ذلك، لم تختفِ التهديدات من الغرب، وبعد عامين احتل فرسان النظام الليفوني يام وكوبور وأيضاً بسكوف بدعم من حزب مؤيد للألمان الذي كان قوياً في هذه المدينة. كانت نوفغورود في خطر. مرة أخرى، دعا سكانها ألكسندر نيفسكي للدفاع عن أرضهم. في عام 1242، هزمت قوات ألكسندر الليفونيين في معركة على بحيرة تشودسكو (معركة الجليد). تم صد غزو الصليبيين لروسيا ببسالة من قبل الوطنيين الحقيقيين لأرضهم.

بعد الانتصار المنتصر على الصليبيين، لم يجف الخطر القادم من الغرب على الروس. واجه ألكسندر نيفسكي خيارًا صعبًا: إما الغرب أو المغول. بعضهم مسيحيون والبعض الآخر وثنيون... جذب الجانب المغولي التتري الإسكندر بتسامحهم الديني وحقيقة أنهم لم يحاولوا استعمار روس، بل فرضوا عليها الجزية فقط. وفي الوقت نفسه، لم يتعرض الروس للاضطهاد سواء من الجانب الديني أو الوطني. الذبابة الوحيدة في المرهم هي أن المغول سمموا والد ألكسندر نيفسكي.

بالطبع، أدرك الكسندر ما يمكن أن يهدده في حال الوقوف إلى جانب الحليف الغربي- ألا وهي الاستعمار المحتمل للأراضي الروسية، وهي قضية دينية معقدة للغاية. ونتيجة لذلك، اتخذ الأمير ألكسندر نيفسكي جانب المغول.

في القرن الثاني عشر بدأ العدوان الصليبي الأوروبي الغربي في بحر البلطيق. لقد جاء ذلك في أعقاب تدمير تشكيلات الدولة السلافية الغربية وما نتج عن ذلك من تراجع في المجتمع الثقافي والاقتصادي في منطقة البلطيق. حدث نوع من إعادة التوزيع الاقتصادي لدول البلطيق. تم إحياء العلاقات الثقافية والاقتصادية الدولية القائمة على مستوى رابطة المدن الهانزية، والتي كانت نوفغورود مشاركًا بارزًا فيها. في نهاية الخمسينيات، وعند مصب نهر دفينا الغربي، على أراضي قبيلة ليف البلطيقية، أسس الألمان موقعين تجاريين - أوكسكول ودالين. جذبت أخبار المستوطنات الألمانية في أراضي ليف الوثنية انتباه أسقف بريمن، الذي أرسل مينغارد، راهب الرهبنة الأوغسطينية إلى هناك. واقتناعا منه بسلبية السكان المحليين في قبول الكاثوليكية، لجأ مينغارد إلى البابا طلبا للمساعدة. أعلن رئيس الكهنة الروماني حملة صليبية ضد الوثنيين الليفونيين. واجه خليفة مينهارد، الأسقف بارثولد، مقاومة من السكان المحليين، واستخدم القوة إلى أن قُتل في معركة بين الليفونيين والصليبيين. لكن الصليبيين انتصروا ودمروا ليفونيا. ومع ذلك، مباشرة بعد رحيل الصليبيين، عاد أفراد قبيلة ليف إلى إيمانهم السابق.

كان النشاط التبشيري الأكثر نجاحًا للأسقف ألبرت، في ريغا عام 1200 التي أنشأ قلعتها ووطَّن فيها المستعمرين الألمان. منذ ذلك الوقت، بدأ التطوير النشط لدول البلطيق من قبل المستعمرين الألمان. من أجل قمع مقاومة السكان المحليين في عام 1202، تأسس وسام فرسان السيف (الهيكل)، الذي حصل على ميثاق حق حماية القبر المقدس، في صورة أوامر عسكرية في فلسطين. كان الفرسان الجدد يرتدون عباءات بيضاء عليها سيف أحمر وصليب تم استبداله فيما بعد بنجمة.

لم يكن الأمراء الروس الغربيون غير مبالين لمسألة انتشار الألمان في دول البلطيق - في عام 1203، حاصر أمير بولوتسك حصون أوسكول وغولم، ولكن دون جدوى. أدت المواجهة طويلة الأمد بين الألمان وأمراء بولوتسك إلى خسارة الأخير لمنطقتين في دفينا الغربية - كوكينوس وجيرسيكا. أبرم الألمان معاهدة سلام مع أمير بولوتسك من أجل انجاز غزو أكثر نجاحا للإستونيين، وليتس وغيرهم، تدريجيًا ينجذب بسكوف ونوفغورود إلى القتال. اشتعل الصراع المستمر منذ قرون بين الألمان والإمارات الروسية الغربية.

الصراع على دول البلطيق

منذ زمن الأمراء الأوائل كانت دول البلطيق تحد الأراضي الروسية في الغرب ، وهي منطقة تقع على طول ساحل بحر البلطيق. كانت هناك طرق تجارية هامة كانت تربط روسيا عبر بحر البلطيق بالعديد من دول أوروبا. من خلال التجارة عبر دول البلطيق، حصلت نوفغورود العظمى على ثروات كبيرة. كان التجار من نوفغورود ينقلون بضائعهم عبر نهر فولخوف إلى بحيرة لادوجا، ومن هناك عبر نهر نيفا إلى خليج فنلندا وبحر البلطيق. وكان هناك طريق آخر من نوفغورود إلى الغرب يمر عبر بسكوف والمدن المجاورة له.

في خضم الانقسام السياسي في روسيا في القرن الثاني عشر، حصلت بسكوف على استقلال جزئي عن أراضي نوفغورود. جذبت ثروات نوفغورود وأمل الحصول على غنائم سهلة الغزاة الغربيين. بدأت تظهر قوات عسكرية من مملكة السويد على شواطئ خليج فنلندا، حيث بدأوا في جمع الجزية من القبائل الفينية المحلية، التي كانت تدفع الجزية لنوفغورود. منذ منتصف القرن الثاني عشر، بدأ سكان نوفغورود والسويديون في الهجوم بشكل منتظم على بعضهم البعض. في عام 1164، دمر السويديون محيط مدينة لادوجا في أرض نوفغورود، وفي عام 1187، نهب جيش نوفغورود مدينة سيغتونا السويدية الكبيرة. قاتل الأمراء الحاكمون في نوفغورود بجنودهم مرارًا ضد السويديين من أجل الحق في جمع الجزية من القبائل الفينية. في عام 1227، قام أمير نوفغورود ياروسلاف فسيفولودوفيتش (ابن فسيفولود الكبير عش العصفور) خلال حملة ناجحة بفرض الجزية على قبيلة يم الفينية. وفي نفس الوقت، حول سكان نوفغورود القبيلة الفينية كاريليان إلى المسيحية.

الأوامر العسكرية الرهبانية

في بداية القرن الثالث عشر، أصبح فرسان الحملات الصليبية يشكلون تهديدًا جديدًا وخطيرًا لسكان نوفغورود وبسكوف. في نهاية القرن الثاني عشر، أنشأ الفرسان الألمان في فلسطين النظام التوتوني العسكري الرهباني. ومع ذلك، واجه الفرسان في فلسطين سلسلة من الهزائم. بالتنسيق مع البابا الروماني، قرر الصليبيون من النظام التوتوني الاستقرار في منطقة دول البلطيق، حيث كانت تعيش القبائل البلطية والفينية التي تعتنق الوثنية. كان تحويل الوثنيين إلى الكاثوليكية ذريعة مناسبة للتدخل العسكري. أصبح تعميد الوثنيين غطاءً لعمليات النهب، والاستيلاء على الأراضي، واستعباد القبائل البلطية. في عام 1230، بدأ النظام التوتوني في غزو أراضي قبيلة البروسي البلطية.

في عام 1202، استعاد الفرسان الألمان، خلال حرب شرسة مع قبائل الليفونيين والإستونيين، مساحات شاسعة من الأراضي وأسسوا في مصب نهر دفينا الغربية مدينة-حصن ريغا. في وقت لاحق، بنى الصليبيون العديد من القلاع الأخرى التي أصبحت نقاط دعم لهم في أراضي البلطيق. لتعزيز نجاحهم، انضم الفرسان إلى نظام آخر - نظام السيف (الهيكل). استمر نظام السيف في توسيع ممتلكاته، مما أدى مرارًا وتكرارًا إلى مواجهات مع أمراء نوفغورود وبسكوف وبولوتسك. في عشرينيات القرن الثالث عشر، شن النظام حربًا ضد القبائل البلطية مثل الزيمغاليين والجيمايتيين والليتوانيين. في مواجهة عدو مشترك، بدأت القبائل البلطية في التوحد.. في عام 1236، ألحق الليتوانيون هزيمة ساحقة بفرسان السيف في معركة ساولي. بعد ذلك، في عام 1237، انضم بقايا نظام السيف إلى النظام التوتوني الأقوى. أصبح جزء من النظام التوتوني، الذي تم تشكيله على الأراضي التي احتلها فرسان السيف، والذي بات يُعرف باسم نظام ليفونيا (باسم قبيلة الليفونيين التي تم غزوها). بفضل امتلاكهم لأراضٍ شاسعة ونظام إدارة متطور، أصبح نظام ليفونيا في الواقع دولة مستقلة. تمتع فرسان النظام برعاية البابا الروماني بامتيازات، وأبرموا اتفاقيات دبلوماسية مع الدول المجاورة، وجمعوا الضرائب من السكان والتجار في أراضيهم. غالبًا ما كان النبلاء الألمان والدنماركيون والسويديون يتصارعون أو يتحالفون مع نظام ليفونيا. بالنسبة للأمراء الروس، أصبح هذا النظام عدوًا لهم لعدة قرون.

الأمير ألكسندر ياروسلافيتش ومعركة نيفا

في عشرينيات وثلاثينيات القرن الثاني عشر. تحدث أمير نوفغورود ياروسلاف فسيفولودوفيتش مرارًا وتكرارًا عن أهمية الدفاع عن حدود أرض نوفغورود ضد جيرانها الغربيين. ومع ذلك، في عام 1238، تولى عرش فلاديمير، منذ وفاة شقيقه الأكبر، الأمير فلاديمير يوري فسيفولودوفيتش، في معركة مع المغول التتار بالقرب من نهر المدينة. أصبح ألكسندر ابن ياروسلاف، الذي لُقّب فيما بعد بنيفسكي (1221-1263)، الأمير الجديد لنوفغورود. أجبر الوضع المضطرب على الحدود الخارجية ألكسندر نيفسكي للالتحاق بالشؤون العسكرية عندما كان عمره أقل من عشرين عامًا.

وفي عام 1240 وعلى خلفية تدمير الأراضي الروسية من قبل الغزو المغولي التتاري، توقف الجيران الغربيون لأراضي نوفغورود عن النزاعات وبدأوا في الاستعداد للهجوم. أرسل الملك السويدي حملة عسكرية على متن السفن إلى الأراضي الخاضعة لسيطرة نوفغورود. وكان على رأس الجيش قريب الملك، الحاكم بييرغر. رافق الفرسان السويديين أساقفة كاثوليك، كانوا يهدفون إلى تحويل القبائل الفنلندية المحلية إلى الإيمان الكاثوليكي. دخل الأسطول السويدي مصب نهر نيفا، وواصل طريقه إلى أعلى النهر ورسا عند الشاطئ في منطقة مصب نهر إيجورا الصغير. عندما علم شيوخ قبيلة إيجورا المحلية بوصول السويديين، سارعوا إلى إبلاغ الأمير النوفغورودي ألكسندر نيفسكي. قرر الأمير التحرك بسرعة. جمع قواته الخاصة وانطلق فوراً لمواجهة السويديين. على طول الطريق، انضمت إليه مجموعات صغيرة من النوفغوروديين. في 15 تموز 1240، اقترب جيش ألكسندر نيفسكي من معسكر السويديين دون أن يلاحظهم أحد. وبفضل عامل المفاجأة، هاجم المحاربون الروس السويديين الأكثر عدداً، الذين أصابهم الارتباك وبدأوا في التراجع إلى سفنهم.

تكبد العدو خسائر فادحة. حتى أن المحاربين الروس الذين يلاحقون العدو تمكنوا من إغراق ثلاث سفن سويدية. وفقًا للحكاية ، في هذه المعركة قاتل ألكسندر نيفسكي شخصيًا ضد زعيم السويديين إيرل بيرجر وأصابه في وجهه برمح. فر السويديون على متن السفن وغادروا أراضي نوفغورود. بفضل النصر في معركة نيفا، تلقى الأمير ألكساندر لقب نيفسكي.

معركة الجليد

بعد عام واحد من معركة نيفا، عادت التهديدات لنوفغورود من جديد، وهذه المرة كانت من جانب النظام الليفوني. في خريف عام 1240، هاجم الفرسان الألمان أراضي بسكوف المهمة جدا. في البداية، احتل الفرسان إزبورسك، ثم تقدموا نحو بسكوف. دخل زعيم النبلاء البسكوفيين، والبويار تفيرديلو، في تآمر سري مع الفرسان وسلم لهم المدينة. سقطت بسكوف تحت سيطرة النظام الليفوني. بعد ذلك، احتل الفرسان الألمان الأراضي التي كانت تسيطر عليها نوفغورود سابقًا، وهي أراضي قبيلة الفينوغراد "فود"، وأقيمت قلعة كوبوريه على الأراضي المغتصبة. تكررت هجمات النهب والسلب التي قام بها الفرسان في عمق الأراضي النوفغورودية، الأمر الذي لم يرضي النوفغوروديين. كانت ممتلكات الفرسان الألمان على مقربة من نوفغورود، مما خلق تهديدًا عسكريًا، وقلص من طرق التجارة لنوفغورود في باطيكا. دعا البويار ألكسندر نيفسكي مرة أخرى للحكم في نوفغورود، لطرد الفرسان من الأراضي التي احتلوها.

في نهاية عام 1241، استولى ألكسندر نيفسكي، على رأس جيش نوفغورود، على قلعة كوبوري الألمانية. ثم توجه نحو بسكوف. في الطريق، انضمت إليه فرقة بقيادة الأخ أندريه، الذي جاء لإنقاذ فلاديمير. في أوائل ربيع عام 1242، تم طرد الألمان من بسكوف. ثم قرر ألكسندر نيفسكي محاربة الأعداء على أرضهم. فسار عبر أراضي النظام الليفوني. خرج جيش كبير من الفرسان لمقابلته. تم اختيار بحيرة بيبسي المتجمدة كموقع للمعركة. التقت قوات ألكسندر نيفسكي والفرسان الليفونيين هناك في 5 نيسان 1242. دخلت هذه المعركة في التاريخ باسم معركة الجليد، لأنها وقعت على جليد البحيرة. في البداية، رافق النجاح الليفونيين: سحق فرسانهم المدرعون مركز الجيش الروسي. بعد أن شعر الفرسان بقرب النصر، فقدوا تشكيلهم القتالي. في تلك اللحظة، هاجمهم سلاح فرسان ألكسندر نيفسكي من الأجنحة. لم يتمكن الفرسان من تحمل الضربة ففروا من أرض المعركة. سقط الكثير منهم في المعركة، وتم أسر الكثير منهم. عاد ألكسندر نيفسكي مع الأسرى وغنيمة الحرب إلى بسكوف.

**الهدنة بعد معركة الجليد وأهمية ألكسندر نيفسكي**

بعد معركة الجليد بين نوفغورود والنظام الليفوني، تم توقيع اتفاق سلام. أعاد بموجبها النظام الليفوني أراضي شعب الفين إلى نوفغورود وتنازل عن مطالباته في أراضي بسكوف. توقفت غزوات النظام الليفوني على روسيا لأكثر من عشر سنوات.

كان لنشاط ألكسندر نيفسكي كأمير لنوفغورود أهمية كبيرة بالنسبة للأراضي الروسية. وفقًا للحكاية ، قدم البابا الروماني عرضًا لألكسندر نيفسكي للانضمام إلى الكاثوليكية وتكوين تحالف. ومع ذلك، رفض الأمير هذا العرض لأنه كان يناضل من أجل استقلال وأصالة أرضه الأم. على الرغم من تدمير روسيا بغزوات الهورد نجح ألكسندر نيفسكي في الحفاظ على قدرة الدفاع في الأراضي الروسية الشمالية الغربية. تمكن من إيقاف ضغوط المستعمرين الغربيين.